

هو العليم

## الموجودات تجلٍ لذات الباري تعالى

شرح دعاء أبي حمزة الشمالي - سنة ١٤٣٦ هـ - المحاضرة الثانية

عشرة

محاضرة ألقاها

آية الله الحاج السيد محمد محسن الحسيني الطهراني

قدس الله سره



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد

وعلى آله الطيبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

«هَبِّنِي بِفَضْلِكَ وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَفْوِكَ؛ أَيُّ رَبٌّ، جَلَّ لَنِي

بِسِترِكَ، وَاعْفُ عَنْ تَوْبِي خِي بِكَرَمِ وَجْهِكَ»

النظرية التوحيدية لعلم الوجود هي الشرط الأساسي في حركة

السالك

تقديم الحديث في الليلة الماضية أن الشرط المهم في

حركة السالك هو أن يعلم - بالطبع فإنه سيصل إلى هذا

الأمر في المراتب العالية، فالعظاء يلمسون ذلك ويشاهدونه بأنفسهم في تلك الدرجات العليا؛ وهي درجة الاتحاد والورود في حرم الولاية وشهود جريان المشيئة الإلهية - بأنّ هناك حقيقة واحدة حاكمة ونافذة في جميع عوالم الإمكان، وتلك الحقيقة عبارة عن ارتباط الماهيات بأي ماهية فرضت وبأيّة درجةٍ من الدرجات كانت - بالله الموجَد لهذه الماهيات، والمعطى لها الوجود والتحقّق. وتلك الحقيقة الربطية هي عبارة عن ظهور الأسماء والصفات الإلهية في جميع العوالم الإمكانية باختلاف مراتبها. وبعبارة أخرى، إنَّ الله تعالى في مرتبة الذات هو عبارة عن تلك الحقيقة البحثة والبساطة التي لا يمكن أن يُتصوّر لها ثانٍ، فحقيقة الذات هي ذاك الوجود البخت والبسيط، والذي يُعبّر عنه بصرف الحقيقة أيضاً، وكذلك يُعبّر عنه بمقام «الهو هوية»، فذلك الـ«هو» عبارة عن مقام الوجود الصرف، بدون أيّ تعينٍ وبدون أيّ نوعٍ من أنواع الظهور.

جميع ما في الوجود هو بُجلٌ للذات وظهر له تعالى

لنضرب مثلاً على ذلك، وهو مما نلمسه نحن بأنفسنا:

عندما ننظر إلى أنفسنا، فنحن نلاحظ امتلاكنا لصفات مختلفة؛ منها حسن ومنها قبيح. فنلاحظ امتلاكنا للعلم والقدرة، ويمتلك البعض منا صفة الجود والكرم، بينما يمتلك البعض الآخر صفة البخل المذمومة، ويمتاز بعضاً بصفة العطف والرحمة، بينما يكون البعض الآخر قاسياً. فالناس مختلفون فيما بينهم من صفات، وهم يلمسون هذا الأمر في أنفسهم، بل يمكن للأخرين معرفة ذلك من خلال أفعالهم، فلا يستطيع أحدنا الاطلاع على صفات الآخر ما لم يصدر منه فعل معين، هذا في الوقت الذي يعرف فيه الرجل بنفسه ما لديه من صفات.

فالخطاط قبل أن يمسك بالقلم والدواة ويبدأ بالكتابة على الورق ويُظهر موهبته، لا يمكنك أن تميّز بينه وبين الرجل العادي كبائع الخضار مثلاً، لكن ما إن يغمس القلم في الدواة ويبدأ بالكتابة تقول: يا للعجب! أيّ رجل يجلس أمامي الآن، وأيّ خطاطٍ هذا! عندها فقط ستعلم

بأنَّ هذا الرجل خطاط. وكذلك الأمر مع العالم الذي  
يجلس إلى جنبك، فما لم يتفوه بشيء، تتصوّر أنَّه مجرّد رجل  
عادي، فكلٌ ما ترى منه هو العمامنة على رأسه والقباء  
والعباءة، لا تعرف عنه أكثر من هذا، ولكن ما إن يبدأ  
بالحديث والإجابة على أسئلتك حتى تقول: يا للعجب!  
أيَّ رجل هذا؟ وأيَّ بحرٍ موَاجِ أقابِل الآن؟ وكذا الأمر فيما  
يتعلّق بالرجل القويِّ الجالس إلى جنبك والذي لم يصدر  
عنه أيَّ فعل بعد، فتتصوّر بأنَّه مجرّد رجل عادي، لكن ما  
إن تراه يقوم برفع ثقلٍ يزيد على المائة كيلوغرام، فستقول  
عندما: يا للعجب! أيَّة قوَّةٍ يمتلك هذا الرجل؛ وهكذا  
الأمر فيما يخصُّ جميع الأسماء والصفات الأخرى، فلا  
يمكن معرفتها ما لم تبرز وتطهر إلى العلن.

نحن نعلم إذًا بامتلاكنا لصفات معينة، نعلم مثلاً  
بامتلاكنا للقدرة وإن لم يظهر منها ما يدلُّ عليها.. أفلًا يعلم  
الخطاط بامتلاكه لموهبة الخط؟! بل، إنَّه يعلم ذلك وإن لم  
يسرع بالخط بعد، وبظهور هذه الموهبة منه إلى العلن،  
سيحصل لنا الاطّلاع عليها، أمّا هو، فيعلم بامتلاكه لها.

وكذا الأمر بالنسبة إلى الرجل القوي والعالم، فالرجل القوي يعلم بأنه قويٌّ، والعالم يعلم بأنه عالمٌ وإن لم يتفوه بشيء. وهكذا الحال مع بقية الصفات.

من هنا ورد في الروايات، وعلى ألسنة العظماء النهبي عن الاستهزاء بأيٍّ عبدٍ من عباد الله، إذ قد يكون ولیًّا من أولياء الله<sup>١</sup> ! فهل يكتب ولیًّا الله على جبهته: أنا ولیُّ الله؟! فمنْ يعلم أي مقام للرجل الذي يجلس إلى جنبه، أو ذلك الذي يجلس في زاوية ما، وما هو الحال الذي هو عليه؟! لذا يجب على كُلَّ منًا أن يراعي هذا الأمر وأن يحترم جميع الناس.

## مقام الذات مغاير لمقام الصفات

إذاً كُلَّ واحدٍ من الناس يعرف ماذا يمتلك من الصفات ويلمس ذلك بنفسه، غير أنه يعرف في نفس

---

<sup>١</sup> جاء في كتاب قوت القلوب، ج ١، ص ٣٦٥: وعن جعفر الصادق رضي الله عنه في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في إخفائها قال: إن الله تعالى خبأ ثلاثة في ثلات، رضاه في طاعته، فلا تختقروا منها شيئاً لعل رضاه فيه؛ وخبأ غضبه في معاصيه، فلا تختقروا منها شيئاً لعل غضبه فيه؛ وخبأ ولايته في عباده المؤمنين، فلا تختقروا منهم أحداً لعله ولیًّا الله تعالى. [المترجم]

الوقت بأنَّ تلك الصفات غير مستقلة بنفسها، بل مرتبطة بذاتٍ، فعندما يقول أحدهم: أنا خطاط، أو أنا قويٌّ، أو أنا عالم، أو حيٌّ، أو جوادٌ كريم، أو شجاع، أو أنا أمتلك صفة الرحمة والعطف؛ فما معنى تلك الـ «أنا» عندما يقول القائل: أنا أمتلك هذه الصفة وذلك الكمال؟ وما معنى هذه الـ «أنا» عندما يقول: (أنا صاحب سلطة وقدرة، ألا تعلم مع من تتكلّم؟ نعم! كن على حذر فلعلك تتعرّض إلى ما لا يحمد عقباه!) أو أن يعمل آخر على تحدي الغير بما يمتلك من علم؛ وهكذا بالنسبة لحقيقة الصفات.

فذلك الذي يقول أنا أمتلك كذا وكذا، من المعلوم بأنَّ الـ «أنا» شيء آخر غير العلم والقوة والرحمة والعطف والشجاعة وما إلى ذلك من الصفات؛ وعندما يقول أحدهم أنا بهذه الـ «أنا» تُسمى بالذات؛ فذاتنا عبارة عن تلك الحقيقة التي ندركها بأنفسنا والتي لا يمكننا أن نضمَّ إلى جنبها أيَّ شيءٍ آخر، إذ كُلُّ شيءٍ يُضمَّ إليها يكون خارجاً عنها.

# معرفة النفس مقدمة لمعرفة الله وكيفية تحصيل التوجّه إلى النفس

من البرامج التي يوصي بها العظماء في السير بالنفس والوصول بها إلى إدراك حقيقتها هو التوجّه نحو النفس<sup>١</sup>؛ إنَّ لهذا البرنامج درجات متفاوتة؛ لا يمكنني هنا ذكر الدرجات المتقدّمة منها؛ أمّا الدرجة الأولى فهي: أن يجلس السالك في مكان ما فيغمض عينيه أو لا يغمضهما - والأفضل أن يغمضهما - ويقوم بإبعاد جميع الخواطر عن ذهنه؛ من فعل قام به أو تصرّفٍ تصرّفه طوال اليوم، فعليه أن يطردها من ذهنه كلها[هذا أولاً]، ثم [ثانياً] يتقدّم إلى الخطوة التالية الأعمق؛ فيقوم بإبعاد نفسه عن التفكير وتذكّر تلك الصفات التي هي سبب القيام بتلك الأفعال؛ كصفة العلم والقوة والرحمة والعطف والشجاعة والعطاء والرقّة والتفكير والتعقل، وما إلى ذلك من الصفات الإنسانية، فعندما تخطر هذه الصفات من تفكّر وتعقل

---

<sup>١</sup> من قبيل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، راجع بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٢

وَقْسُوتٍ وَغَيْرُهَا عَلَى الْذَّهَنِ، يَحْبُبُ عَلَيْهِ دَفْعَهَا عَنْهُ؛ ثُمَّ  
يَغُوصُ وَيَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِهِ حَتَّى يَصْلُ إِلَى الْحَدَّ الَّذِي  
لَا يَرَى فِيهِ لَنْفَسَهُ أَعْيَّ صَفَةً، فَلَا يَرَى لَهَا عِلْمًا وَلَا قُوَّةً وَلَا  
كَرْمًا وَلَا تَعْقُلاً، بَلْ وَلَا حَتَّى تَفْكِرًا أَوْ تَأْمَلًا، فَلَا يَرَى  
عِنْدَهَا أَيِّ شَيْءٍ، لَا يَرَى فِي قِبَالِ نَفْسِهِ أَوْ إِلَى جَنْبِهَا أَيِّ شَيْءٍ  
آخَرَ، هَذَا مَا يُطْلِقُ عَلَيْهِ اسْمُ التَّوْجِّهِ إِلَى النَّفْسِ، وَهَذِهِ هِيَ  
أَوْلَى الْدَّرَجَاتِ الَّتِي تَتَبعُهَا درَجَاتٌ أَعْمَقَ، لَمْ يَأْتِ الْوَقْتُ  
الْمُنَاسِبُ لِلتَّحْدِيثِ عَنْهَا بَعْدَ.

فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ تُنَكِّشَفُ لِلإِنْسَانِ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَمْوَرِ؛  
فَعِنْدَمَا يَصْلُ إِلَى حَقِيقَةِ ذَاتِهِ وَنَفْسِهِ تَبْدَأُ نَفْسَهُ بِالتَّجَلِّيِّ لَهُ،  
وَيَظْهُرُ وَيُنَكِّشَفُ لَهُ الْكَثِيرُ مِمَّا كَانَ خَافِيًّا عَنْهُ؛ فَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ  
مِنْ مَرَاتِبِ النَّفْسِ تُسَمَّى بِالْذَّاتِ، وَتُسَمَّى بِمَقَامِ  
الْهُوَّيَّةِ؛ فَنَحْنُ نَمْتَلِكُ مَقَامَ الْهُوَّيَّةِ أَيْضًا؛ فَلَا  
تَتَصَوَّرُوا بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الَّذِي يَمْتَلِكُ ذَلِكَ الْمَقَامَ، فَهَا  
نَحْنُ نُثْبِتُ لِأَنفُسِنَا أَيْضًاً وَجُودًاً، فَنَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ  
نَصْنَعَ لَنَا إِلَهًا أَكْبَرَ وَأَقْوَى وَأَقْدَرَ أَلْفَ مَرَّةٍ مِنْ إِلَهِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ؛ فَنَقُولُ: أَلْمَ تَكُنْ تَعْلَمُ ذَلِكَ يَا رَبِّ؟!

إِنَّه لِشِعْرٍ عَجِيبٍ جَدًا ذَلِكُ الشِّعْرُ الَّذِي قَالَهُ  
النَّظَامِيٌّ :

أَى هُوَا هَمَّى تُو هَمَّى نَكِيرٌ \* \* \* وَى خَدَايَا تُو

خَدَايَا آزَارٌ

رَه رَهَا كَرْدَهَا إِزَآنِيْ گَمْ \* \* \* عَزْ نَدَانِسْتَهَا إِزَآنِيْ

خُواَرٌ

[يَا مَنْ اتَّخَذَ هَوَى نَفْسَهُ آلَهَةً تُبْعِدُ، إِنَّ آلَهَةَ هُوَاكَ تُسْخِطُ

عَلَيْكَ إِلَهٌ

تَنَكَّبَتَ عَنِ الدَّرْبِ لِلْحَظَةِ فَضَلَّتْ، وَجَهْلَتَ العَزَّ

لِلْحَظَةِ فَلَزَمْتَكَ الْمَذَلَّةَ]

وَيَسْتَمِرُ فِي قَصِيدَتِهِ، وَهِيَ قَصِيدَةُ جَمِيلَةٍ حَقًا، حَتَّى

يَصْلِي إِلَى هَذَا الْبَيْتِ:

دِه بُود آن نه دِل که اندروی \* \* \* گاو و خر باشد

وَضَيْاعٌ وَعَقَارٌ

[وَالْقَلْبُ إِنْ كَانَ مشتملاً عَلَى الضَّيْاعِ وَالْعَقَارِ

وَالْحَمِيرُ وَالْأَبْقَارُ، فَهُوَ مُزْرَعَةٌ لَا قَلْبَ]

---

¹ هذه الأبيات من الشعر هي من قصيدة للحكيم السنائي. [المترجم]

[إِنَّهُ لَيْسَ بِقَلْبٍ] ذلك الذي يحتوي على البقر والحمير  
والأشجار والسيارة والمصيف والمشتى والخدم والحشم  
والعيادة الطبية، والمكتب والدرس والتلاميذ والمسجد  
والمحراب والمنبر وكل شيء آخر، بدلاً من أن يشتمل  
على الله وعلى المحبوب. نعم، ذلك الذي يشغله كل ما  
 تستطيع قوله من رئاسة، وكرسي، ومنضدة، ومنظمة،  
 وجمعية، ومؤسسة... هل تريدون أن أضيف أشياء  
 أخرى؟ أم يكفي ذلك؟ فهذا ليس في الحقيقة إلا مزرعة  
 مليئة بالبقر والحمير وغيرها من الأمور التي ذكرناها لكم،  
 وليس بقلب.

ده بود آن نه دل که اندروی \*\*\* گاو و خر باشد

و ضياع و عقار

قايد و سايق صراط الله \*\*\* به ز قرآن مدان و به ز

أخبار

[لَا تَعْدِّ الْقَائِدَ وَالسَّائِقَ فِي صِرَاطِ اللَّهِ خَيْرًا مِنَ الْقُرْآنِ

والأخبار].

رحمة الله عليه.

## بيان مقام المهووية

فمقام «هو» الذي يمتلكه المرء نفس مقام الذات؛ إذ عندما يُدرك الإنسان ذاته مجرّدةً عن العلم والقدرة والحياة.. نعم حتى عن الحياة؛ فعليه ألا يُدرك أنه حيٌّ، بل عليه أن يتجاوز عن ذلك، ليكون الموت والحياة في هذا الاتجاه وهذا التفكّر والتأمّل لديه على السواء، ولا يلتفت ولا يتوجّه إلى الموت والحياة.. فسيكون هذا المقام مقام هوهوية النفس. ومقام هوهوية النفس هذا هو نفس مقام هوهوية ذات الله؛ فلا وجود للعلم ولا للقدرة لذات الله في مقام هوهويته ومقام وجوده؛ فلا يمكن أن يتّصف بالقدرة في ذلك المقام؛ فلا وجود هناك لل قادر أو العالم، بل يوجد هناك الله لا غير. فالله العالم غير الله الرازق، أمّا في ذلك المقام فلا وجود لغير حقيقة واحدة، ولا معنىًّا لوجود تفاوت واختلاف في المفاهيم أساساً؛ لأنّ المفهوم مُتوّلٌد ومُمتنَع عن النعوت، وبما أنّ النعت منفصل عن الذات هناك، وبما أنّ الذات في مرتبة «الهوهوية» أعمق من أن تتّصف بنعوت وصفات، فلا

يمكن الحال هذه من أن يُقال: الله العالم، أو الله القادر، أو الله الرءوف، أو الله القهار، بل يُقال: الله [فقط]؛ فتلك المرتبة هي مرتبة الهوهوية، ومرتبة الهوهوية هذه هي نفس ذلك الوجود، وهي نفس مرتبة الذات البسيطة.

وما تلاحظونه مما يُذكر في بعض الأماكن من أنَّهم يعتبرون مرتبة الهوهوية مجرد مرتبة اعتبارية تعقليّة وتصوّرية للذات، فهو محل تأمِّل في الواقع؛ بل الصحيح أنَّ الهوهوية هي نفس مرتبة صرف الوجود، لا شيء آخر مما يعتبره المعتبر، فيعتبر أنَّ هناك مرتبة الهوهوية وهي مرتبة لا بشرط، وهي منفصلة ومتهاizza عن مرتبة بشرط لا.

مرتبة الهوهوية هي نفس مرتبة الذات، ومرتبة الذات نفس مرتبة الأُحدية - لا الواحدية - وعليه فمرتبة الذات ومرتبة الهوهوية ومرتبة الأُحدية شيء واحد، لا وجود للاعتبار هنا. فالذات هي التي يُنتزع منها الهوهوية، لا أن نعتبر نحن ذلك اعتباراً، ومن الذات نفسها يتم انتزاع صرف الوجود، لا أن نقوم نحن بهذا الانتزاع [بالاعتبار

الذهني]، ومن الذات نفسها يتم انتزاع مرتبة الأُحدية، لأن نجعل منها صرف الوجود، بل هو من انتزاع الذات نفسها. فعندما تحقق ذلك المرتبة من الذات، يأتي لنرى ما هي خواص تلك الذات؟ هل هي ذات عاطلة وباطلة، أم أنها ذات شاعرة وعالمة ومدركة وبصيرة وحية وقيمة قادرة ورؤوفة، وذات تمتلك سائر الصفات الأخرى، إذ هنالك أيضًا الصفات الخلقية الخاصة بمرتبة الخلق.

فعندما ننظر إلى هذه الذات، نراها ذاتاً عالمة؛ أي وجود يترشح منه العلم، كما يحصل في ترشح العلم عن الإنسان؛ فأول مرتبة من مراتب ترشح العلم عن وجود ذات الإنسان التي هي مرتبة هووية الإنسان، هي ترشح علم الذات الحضوري بالذات؛ أي أنَّ أول شيء تشعر به أنت، والذي لا يكون بالتصور والإحضار العلمي، بل بالحضور العيني، هو عبارة عن: علم الذات بالذات، وعندما تشعر بوجود نفسك -والذي لا يتم بواسطة العلم أو شيء آخر - وعندما تشعر بأنك شخص، وعندما تشعر

بأنك تمشي على الأرض، وعندما تشعر بأنك موجود كباقي  
الموجودات، فهذا هو علم الذات بالذات.

ففي علم الذات بالذات تطلع الذات على نفسها،  
لكن ما هو مصدر ذلك العلم؟ إنَّه ناشيء عن ذلك العلم  
المتنزع من الذات نفسها حيث يحصل له وجود وتحقّق  
خارجي؛ فذات الله في مرتبتها تكون متمايزَة حتَّى عن  
العلم والقدرة وسائر الصفات الأخرى، ولا يعني هذا  
التمايز حصول انفصال بين هذه الصفات وبين الذات، بل  
هي متولدة عن الذات، فلا يمكن لنا أن نجد لحظة واحدة  
- إنَّ استعمال الكلمة لحظة هنا غير صحيح - بل لا يوجد آن  
من الآنات أو مرتبة من المراتب يكون فيها ذات الله  
جاهلاً بنفسه، وأن تفقد الذات مقامها العلمي، فآية مرتبة  
يمكن تصوّرها، لا بد أن تكون مساوية لعلم وقدرة  
الذات، ومساوية لمقام الرأفة والعطف والرحمة والرزق  
وجميع صفات الله، فجميع صفات الله متولدة من الذات  
وهي عبارة عن ظهور الذات.

الممكّنات هي تجلٍ وظهور للباري تعالى لا انفصال بينهما

ولا تعني الكلمة التولّد هنا الانفصال، بل تعني الظهور، والظهور غير التولّد؛ فعندما تلد الأمّ طفلها، ينفصل هذا المولود عن أمّه، فينام إلى جانبها، في الوقت الذي تقوم فيه الأمّ بمراقبتها ورعايتها.. لا معنى لهذا النوع من التولّد في ذات الله، بل يعتبر ذلك من الشرك والكفر.

فعندما يولد الطفل من أمّه، يكون للأمّ اسم وللطفل اسم مختلف، ويكون لكلّ منها مكانه الخاص به، أمّا ما يتعلّق بذات الله، فالآية الكريمة تقول: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ<sup>1</sup>). فنفي الولادة المشار إليها في لم يَلِدْ تعني عدم حصول انفصال وجود عن وجود آخر؛ بحيث تكون هذا الوجود الجديد وانفصل عن الأصل.

وعبارة (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) تعني لا هو يلد بحيث ينفصل عنه الخلق بطريقة الولادة، ولا يكون ولد هو من موجود آخر.

---

<sup>1</sup> سورة الإخلاص (١١٢)، الآياتان ٣ و ٤.

بناءً على هذا، فإنَّ ظهور جميع مخلوقات الله عنه يكون  
بمعنى تشكُّل وتشخُّص وتعيُّن شيءٍ معين بالشكل الذي  
يكون فيه هذا الشيءُ الجديد، بما لا يقبل الانفكاك  
والانفصال والافتراق والتمايز المكاني والزمني عن  
الأصل.

انظروا إلى يدي هذه، فيدي عبارة عن مجموعة من  
العظام واللحم والأعصاب وما إلى ذلك، عندما نقول بأنَّ  
لفلان من الناس يدين، فما الذي يخطر على بالكم عند  
سماعكم لهذه الجملة؟ هل ستحضر في أذهانكم صورة ليدٍ  
مقبوسةٍ؟ أم ليدٍ مفتوحة الأصابع؟ أم ليدٍ مضمومة  
الأصابع؟ لن تحضر في الذهن أيَّة صورةٍ من هذه الصور.  
فعندما يُقال: رجلٌ له يدان، فلن يتم تصوُّر يدٍ مقبوسةٍ  
ولا مفتوحةٍ ولا مضمومة الأصابع ولا أيَّة حالة أخرى  
لها، بل سيتم تصوُّر حالة مبهمة لليد تنطوي على جميع تلك  
الأشكال، فهذه هي التي تُسمى باليد. ومع ذلك، هذه اليد  
إن ظهرت أمامك، فلا بدَّ أن تظهر بشكل معين؛ فانظروا  
إلى يدي الآن، فأصابع يدي الخمسة مفتوحة الآن، فهل

ستخرج يدي في حالتها هذه عن كونها يداً أم لا؟ حتماً لن تخرج عن كونها يداً، فهي نفس اليد وقد ظهرت الآن بهذا الشكل، وها أنا أضمّ أصابع يدي إلى بعضها، فهل خرجت يدي عن كونها يداً؟ كلاً، بل لا تزال يداً، وها أنا أثنيها الآن، والحال أثنتها لا تزال يداً، وها أنا أقبضها، وهي لا تزال يداً أيضاً، وها أنا أضمّ أصبعين منها إلى بعضها، وأفتح الثلاثة الأخرى، أو أضمّ أربعة منها إلى بعضهم وهي لا تزال يداً، وهكذا.. فمن الممكن أن أجعل يدي هذه تأخذ عشرين أو ثلاثين صورة مختلفة، دون أن تخرج عن كونها يداً، مع أثنتها قد أخذت لنفسها أشكالاً مختلفة.

عندما يريد أحدكم أن يضرب خصميه ويصلقه بالجدار، فهو لا يضربه بيدٍ مفتوحة، بل يضربه بقبضة يده، بل قد يستخدم آلة حديدية يضمها إلى قبضته لتكون الضربة قاضية، فيُلصق خصميه بالجدار بحيث لا يُبقي له أثراً، فهو لا يضربه بيدٍ مفتوحة الأصابع. أمّا عندما تسحب في المسبح أو في البحر، فلا تسحب وكف يدك مقبوسة، إذ لن تنفعك يدك عندها شيء، بل لا بدّ أن تفتح كفك

بحيث يكون محدّباً من الخارج بعض الشيء لكي يساعدك ذلك على دفع الماء عند تحريك يدك إلى الخلف، لذا لا تجعل يدك مقعرة قائلاً: يعجبني أن أصبح بهذا الشكل؛ لأنك إن فعلت ذلك، فسوف تغرق في الماء دفعة واحدة.

فهذا مظهران مختلفان لكفّ اليد، ولكلّ منها ميزة خاصة به. وكذا عندما تريد أن تضرب جسماً لقطعه إلى نصفين، لا تضربه بشكل أفقى؛ لأنَّ ذلك سيسحقه، بل تضربه بشكل عمودي. في جميع هذه الحالات، اليد هي نفس اليد غير أنها ظهرت بأشكال مختلفة، يكون لكل شكل من هذه الأشكال ميزة وظهوره ونوعه الخاص به مختلف عن غيره.

فكيفية ارتباط جميع الخلائق بالله على مثال هذه اليد، لا أعتقد أنه بإمكاني أن أضرب لكم مثلاً يقرب المعنى إلى الأذهان بوضوح أكثر من هذا المثال، فجميع الخلائق هي بحكم هذه الأشكال المختلفة لكف اليد، والتي هي ظهور لأمر واحد؛ فعندما أقبض كفي، لا يقول أحد بأنَّ هذه ليست بكفي بل هي قبضة، بل يُقال: إنَّ كفَّه أصبحت

على شكل قبضة، فتقول: هذه "كُفٌّه"، وهذا يعني بأنَّها هي ذات الكف ظهرت الآن بهذا الشكل، وعندما تكون أصابع الكف مفتوحة، فسيُقال عندها بأنَّ الكف قد ظهرت بهيئة خمسة أصابع مفتوحة، إذ هي لم تنفصل عن الكف، ولم يتم سلب اسم الكف عنها؛ أتلا حظون؟!

فلمَّا كانت جميع الخلائق عبارة عن ظهور لله، وقد ظهرت بهذه الأشكال، فسنعرف بأنَّ الأمر ليس من قبيل الولادة وكما يحصل مع الطفل الذي يخلقه الله؛ بحيث يكون الخلق في جانب ويكون الله منفصلاً عنهم جالساً على عرشه؛ (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)؛ فيكون الله قد جلس على عرشه، بينما وقع خلقه في بعضهم البعض يضرب أحدهم الآخر على رأسه، فهذا يضرب ذاك بصاروخ، ويردّ عليه الآخر بقنبلة، ويقوم الثالث بعمل آخر، وهو جالس في مكانه يتفرّج عليهم.. كلا يا عزيزي!

بل جميع هذه الخلائق عبارة عن ظهور لله؛ مثلهم في ذلك مثل هذه اليد.

---

<sup>١</sup> سورة طه (٢٠)، الآية ٥.

تساوي المخلوقات جمِيعاً حتى الأنبياء والأئمة في كونها

## ظُهورات للحق تعالى

بناءً على هذا، فهل يمكننا والحال هذه أن نفرق بين النبي والإمام من جهة - عليكم التدقيق فيما أريد أن أطرحه عليكم - وبين سائر المخلوقات من جهة أخرى؟ كلاً، لا يوجد أي فرق بينهما، فما هو وجه الاختلاف بينهما؟! هل يمكننا أن نقول: بما أنَّ رسول الله يمتلك ذلك المقام الشامخ، لذا سيكون له حكم آخر وهو مستثنٍ من بقية الخلق؟ ثم نلحق برسول الله بقية الأئمة، ولكن بدرجة أدنى من درجة النبي، فنعزل هؤلاء الأربعـة عشر عن بقية خلق الله، ثم نأتي إلى بقية الخلق فنجعل لهم حكماً آخر؛ فهم مخلوقات ممكنة وماهيات، وتعلق الوجود بها، وهم في مرتبة أدنى.

وأما النبي والأئمة ففي مرتبة أعلى بحيث لا يمكن القول عنهم بأنَّهم هم الله، ولا يمكن القول عنهم بأنَّهم من الماهيات الممكنة والأشياء الخارجية، بل يحتلُّون

مرتبة وسطية، وهذا هو ما ذهبت إليه فرقـة الشـيخـيـة<sup>١</sup>. لـذا يـعـتـبـرـونـ منـ هـذـهـ النـاحـيـةـ منـ الـمـنـحـرـفـينـ عـقـائـدـيـاـ،ـ فـهـمـ مـنـ الـمـبـتـلـيـنـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ،ـ بـلـ اـبـتـلـيـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ الـكـثـيرـ مـنـ أـرـادـوـاـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ مـقـامـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـالـوـلـايـةـ،ـ فـقـامـوـاـ -ـ وـمـنـ غـيرـ أـنـ يـلـتـفـتوـاـ -ـ بـتـخـرـيـبـ كـلـ شـيـءـ.ـ كـلـّـ يـاـ عـزـيزـيـ،ـ فـلـاـ وـجـودـ لـأـيـ فـرـقـ فـيـ ظـهـورـ الـذـاتـ فـيـ الـأـشـيـاءـ وـالـخـلـائـقـ وـالـمـمـكـنـاتـ وـالـمـاهـيـاتـ،ـ فـجـمـيعـ الـخـلـائـقـ هـيـ عـبـارـةـ عـنـ مـاـهـيـاتـ إـمـكـانـيـةـ تـمـثـلـ ظـهـورـ تـلـكـ الـحـقـيقـةـ،ـ وـلـاـ تـفـاوـتـ بـيـنـ مـمـكـنـ وـآخـرـ مـنـ هـذـهـ النـاحـيـةـ.ـ نـعـمـ،ـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ وـجـودـ مـاـ مـنـ نـاحـيـةـ سـعـتـهـ الـوـجـودـيـةـ وـفـيـ مـرـتـبـتـهـ الـوـجـودـيـةـ الـمـتـقـدـمـةـ عـلـّـةـ لـوـجـودـ آخـرـ،ـ وـلـاـ ضـيـرـ فـيـ ذـلـكـ مـنـ هـذـهـ النـاحـيـةـ،ـ غـيرـ أـنـ ذـلـكـ لـاـ يـجـعـلـهـ مـسـتـشـنـيـ مـنـ تـلـكـ الـقـاعـدـةـ مـنـ كـوـنـهـ مـرـتـبـطـاـ بـذـاتـ اللـهـ؛ـ فـاـلـجـمـيعـ يـخـضـعـ لـتـلـكـ الـقـاعـدـةـ.

---

<sup>١</sup> لمزيد من الاطلاع على انحراف عقائد فرقـة الشـيخـيـةـ،ـ وـهـيـ الفـرـقـةـ التـيـ تـتـبعـ أـفـكـارـ الشـيـخـ أـمـدـ الـإـحـسـائـيـ،ـ رـاجـعـ كـتـابـ مـعـرـفـةـ الـإـمـامـ،ـ جـ ٥ـ،ـ صـ ١٦٦ـ.

[المترجم]

عندما ينادي الإمام السجّاد عليه السلام الله قائلاً:  
منْ أكون يا ربّ لكي أرى لي وجوداً مستقلاً، إِنَّمَا يقول  
ذلك ناظراً إلى هذه المرتبة. فالإمام يرى نفسه ماهية قد  
تجلى فيها ذلك الوجود البحت والبسيط؛ وهو وجود الحق  
تعالى، حيث ألبسها لباس الخلق، ذلك اللباس الخلقي  
والبشري. أمّا تلك الحقيقة الواقعية التي هي عبارة عن  
ظهور الحق وتجليه، فهي تمثّل كُلّ شيء، فكُلّ ما هنالك هو  
الوجود؛ فعندما يقوم ذلك الظهور بتحقيق تلك الماهية  
وإيجادها، فلا يمكن للماهية والحال هذه أن تباهى بنفسها  
وتتفاخر وتقول: أنا الذي تميزت واحتلّت عن الآخرين،  
فأنا صاحبة هذا الامتياز! لماذا؟ لأنَّ الفضل في ذلك يعود  
إلى نفس الظهور، لا إلى الظاهر، وإلى التجلي لا إلى المتجلّ  
فيه؛ فذلك التجلي هو الذي جعل المتجلّ فيه يظهر بهذا  
الشكل وبهذه الخصائص وبهذه الكيفية.

إنَّ إدراك الإمام عليه السلام لهذه المسألة أكثر من  
إدراك جميع الناس؛ وذلك لأنَّ الإمام قد عرف حقيقة  
الأمر، وهذا السبب نرى أنه كلما ازداد علم الإنسان

وإدراكه لحقائق عالم التكوين وعلمه بعالم الوجود، كلما  
كان تحققـه بمقام العبودية والذلة والمسكنة والخضوع  
والخشوع أكثر من سائر الناس.

**عدم رسوخ العلوم في النفس يجعل من العالم فرعوناً متـكـبراً**

لذا ترى البعض، مع دراستهم للعلوم الدينية ومع  
كونهم من العلماء ومع كون معرفتهم بهذه الأمور ليست  
بالقليلة نسبياً، لكن عندما تتحـدـث معهم لا تشاهد فيهم  
من آثار تلك العلوم شيئاً، بل ترى فيهم التـكـبر والتـفـرـعن  
والأـنـانـيـة، وترى أنّ لديه نفساً وشخصانية، ويتعامل وكأنـه  
هو صاحب الأمر والنـهـي. وهذا الأمر إن دلّ على شيء،  
 فهو يدلّ على عدم وصـولـهم إلى حـقـيقـة هذه المسـائـل التي  
درسـوها، بل اطـلـعواـ على بعض المـعـلـومـات لا غـيرـ فيـ هـذـا  
المـيدـانـ، دون أن تؤـثـرـ تلكـ العـلـومـ فيـ نـفـوسـهـمـ وـتـرـسـخـ  
وتـتجـذـرـ وـتـتـعمـقـ فيـهاـ. وكلـماـ ازـدـادـ اطـلـاعـ الإـنـسـانـ عـلـىـ  
تلكـ المـعـارـفـ، ازـدـادـ خـضـوعـهـ وـتـواـضـعـهـ وـإـحـسـاسـهـ بـالـذـلـةـ  
فيـ نـفـسـهـ أـكـثـرـ.

إن هذه المسألة ليست أمراً اعتبارياً، [بل هي أمر واقعي] ويستطيع أحدنا مشاهدة ذلك بنفسه، فبمجرد إلقاء نظرة على الشخص المقابل يعرف إن كان الرجل من المدعين، أم أنه من أهل المعرفة ومن ينطوي وجوده على معارف حقة. نعم، يستطيع معرفة ذلك من النظرة الأولى، فإن لم يتمكن من معرفته من تلك النظرة، يتمكن من ذلك بالاستماع إلى كلامه لمدة دقيقتين أو عشرة دقائق، عندها سيعرف أيّ رجل يقابل.

لذا نرى أنَّ الأئمة عليهم السلام يدعونا إلى متابعة أولئك العلماء الذين ترسخت في أنفسهم تلك الحقائق، لا أولئك الذين تعلّموا علوماً لنقلها إلى الآخرين، وهذا ما نراه في الرواية المنقولة عن الإمام العسكري عن الإمام الصادق عليهما السلام حول العلماء. كما توجد روايات كثيرة عن أمير المؤمنين والإمام السجّاد عليهما السلام في هذا المجال<sup>١</sup>؛ حيث نراهم يدعون إلى مجالسة العالم الذي

---

<sup>١</sup> لمزيد من الاطلاع عن الرواية المروية عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال، راجع كتاب معرفة الإمام، ج ٤، ص ٢٠٦؛ وراجع كتاب معرفة

يُذَكِّرُكُمُ الْجَنَّةُ<sup>١</sup>، لَا الَّذِي إِذَا جَلَسْتَ إِلَيْهِ، فَلَنْ تَسْمَعْ مِنْهُ  
إِلَّا مُدَيْحًا لِنَفْسِهِ! فَمَا تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ مُجَالِسَةً عَالَمٍ كَهَذَا؟! لَا  
تَسْمَعُ فِي مُجَالِسِهِ سُوَى الْحَدِيثِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ أَمْوَارِهِ  
الخَاصَّةِ بِهِ! فَكَيْفَ يُذَكِّرُ هَذَا الرَّجُلُ جَلِيسَهُ بِالْجَنَّةِ؟! مِنْهَا  
كَانَ مَا يَدْعُيهِ، وَمِنْهَا كَانَتْ لَحْيَتِهِ طَوِيلَةً، فَذَلِكَ لَا يُجْدِي  
نَفْعًا. نَعَمْ، إِنَّ الْعَالَمَ الَّذِي يُذَكِّرُ الْجَنَّةَ هُوَ الْعَالَمُ الَّذِي تَشْعُرُ  
مِنْهُ بِالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ.

ذَهَبَتْ يَوْمًا لِمُقَابَلَةِ أَحَدِ عِبَادِ اللَّهِ - وَقَدْ ارْتَحَلَ عَنِ  
الْأَرْضِ - فَصَافَحَهُ وَفَقَاءً لِلْمُتَعَارِفِ وَجَلَسَتْ، وَلَمْ أَقْبَلْ يَدُهُ،  
فَمَا الَّذِي يَحْصُلُ إِنْ لَمْ أَقْبَلْ يَدَهُ؟! فَهَلْ يَتَوَجَّبُ عَلَيَّ تَقْبِيلُ  
يَدِهِ؟! وَكَنْتُ أَحْمَلُ إِلَيْهِ رِسَالَةً، فَسَلَّمَتْهُ الرِّسَالَةُ وَقَلَتْ لِهِ:  
إِنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ مُرْسَلَةٌ لَكُمْ؛ فَرَأَيْتُ بِأَنَّهُ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهِ

---

الْمَعَادِ، ج ٧، ص ٢٣٥ وَمَا بَعْدُهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الرِّوَايَةِ المُنْقُولَةِ عَنِ الْإِمَامِ  
السَّجَّادِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَكِتَابِ وَلَايَةِ الْفَقِيْهِ فِي حُكْمَةِ الإِسْلَامِ، ج ٢، ص ٨٢  
وَمَا بَعْدُهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى الرِّوَايَةِ المُنْقُولَةِ عَنِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَنْ جَدِّهِ  
الْإِمَامِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. [المُتَرَجِّم]

<sup>١</sup> جاءَ فِي كِتَابِ مَصْبَاحِ الشَّرِيعَةِ، ص ١٦١: قَالَ عَيْسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جَالَسُوا  
مِنْ يَذْكُرُكُمُ اللَّهُ رَؤْيَتِهِ. [المُتَرَجِّم]

لينظر إلى أبداً، بل أخذ ينظر أمامه؛ فقلت له: هل لاحظتم بأنَّ الرسالة مرسلة إليكم من قِبَل... فقال: نعم، نعم علمت ذلك! فقلت له: أردت أن أبين لكم ذلك لكي تهتموا بأمرها، فستقرؤونها إن شاء الله، وتبدون ملاحظاتكم بشأنها إن كان لديكم ملاحظات؛ هل لديكم أمر آخر تودون التفضيل به؟ فنهضت وخرجت.

ليس مطلوباً من أحدهم أن يُبدي الكثير من التواضع، فقد دخلت وسلمت عليك، وكان عليك أن ترفع رأسك لتنظر إلى على الأقل؛ [وليس صحيحاً] أن يتصرف المرء بهذا الشكل، وإنما دام الأمر كذلك، فأنا أعرف كيف أتصرف معك في المقابل، سأقوم بتسليمك الرسالة بدون أن أنظر إليك.

**التواضع هو السمة الغالبة على أهل المعرفة، نماذج من حياة الأئمة**

لقد كان العظماء من أهل المعرفة والأولياء الإلهيين، ليس أولئك فقط، بل حتى الرجال الآخرون من أهل الصلاح والعلم والتقوى، عندما كان يأتي شخص ليُسلم

عليهم، كانوا يرددون عليه السلام ويُلأطفونه قائلين: أهلاً وسهلاً بكم، كيف حالكم، تشرفنا برؤيتكم، تفضلوا، فهل لكم من حاجة؟ فليس من الصحيح أن يجلس أحدهم ونظره إلى الأرض! فإن قيل له: هذا ما جئت به؛ قال لك: حسناً، ضعه هنا.

يقول الإمام عليه السلام: عليك بمجالسة العالم الذي إن جالسته ذكرك الجنة، فأصحاب الجنة هم أهل المعرفة والابتسامة والوجه المنشرح وأهل التعامل الصحيح والتواضع، والذين تكون العبودية ظاهرة في كل وجودهم من رؤوسهم إلى أخص أقدامهم، وعندما تجالسهم تلمس منهم ذلك واقعاً، أولئك هم أهل الجنة.

يقول الإمام هنا: عليك مجالسة هذا الصنف من الناس ومخالطتهم ومصادقتهم! نعم، عليك مخالطة هذا النوع من الناس من الذين تلمس منهم كل ذلك عند مجالستهم.

كيف كان أمير المؤمنين يتعامل مع الآخرين عند اختلاطه بهم؟ لقد كان يُهاز حهم إلى الحد الذي قال عنه

ال الخليفة الثاني: رجلٌ فيه دعابةٌ<sup>١</sup> ، ولا ينبغي لحاكم المسلمين أن يُمازح ويضحك، فكيف يجب أن يكون إذاً؟! عليه أن يعبس بوجه الآخرين وينكس رأسه إلى الأرض ويُقطّب حاجبيه؛ أي يجب أن يكون مثله - أقصد الخليفة الثاني - فهكذا يجب أن يكون الحاكم؟!

اضحك ومازح يا هذا، فلن يضرك ذلك شيئاً، فو الله لن ينقص منك شيء، اضحك ومازح الناس وخالفتهم وتحدّث إليهم واستأنس بهم!

كان الإمام الحسن يسير يوماً، فمرّ على عدد من القراء جالسين يتناولون الحساء، فقالوا له: تفضل وتناول معنا من هذا الطعام، فنزل الإمام عليه السلام عن حصانه وجلس معهم على تلك الهائدة. فما الذي يعكسه هذا؟ لا يحتاج المرء إلى التحدّث معه لكي يتمكّن من معرفة شخصيته، بل يكفيه أن يقوم بإلقاء نظرة واحدة عليه ليعرف ذلك، فمن ينظر إلى مظهر الإمام الحسن سيقول: هذا الرجل مختلف عن غيره من الناس! فهل كان

---

<sup>١</sup> بحار الأنوار، ج ٣١، ص ٣٩٠.

معاوية أو يزيد يفعل مثل ذلك؟ وهل كان هارون أو المأمون يفعلون ذلك؟ هل كانوا يجلسون مع الناس ويتعاملون معهم بهذا الشكل؟ أم أنهما كانوا إذا عبروا من مكان ما، كان يتقدّمهم فرقة من رجال الجيش! ما الذي يجري؟ إنَّ الخليفة يريد أن يعبر من هذا المكان! إنَّ الخليفة يريد أن يعبر من هذا المكان، فليعبر تبَّاً له.. بل ترى جماعة تتقدّمه وأخرى تتبعُّه، ويراقب القسم الآخر سطوح البيوت المطلة على الطريق لئلاً يقوم أحدهم بإلقاء الحجارة عليه، فيتسلق الجنود سطوح البيوت مسلّحين بالسهام والأقواس، كما تقوم مجموعة أخرى بحراسة الجانب الآخر. يا أخي ما الذي يجري؟! إنَّ الخليفة ينوي العبور من هذا المكان! فليعبر إذًا، لا حاجة له بكلِّ ذلك؛ فهل كانت فرقة من رجال الجيش ترافق الإمام الحسن في مسيرته؟ وهل كان هنالك من يتولّ حراسته؟ وهل كانوا مجهزين بالأقواس والسهام والبنادق لكي لا يمسّه سوء؟

عندما كان أمير المؤمنين عليه السلام بمعادرة بيته ليلة التاسع عشر من رمضان، كان الإمام الحسن والإمام الحسين قد استشعرا وجود خطر على حياته، فقالا له: نريد مرافقتك يا والدنا العزيز، فقال لهم: لماذا؟ فـإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَجْلِي قَدْ حَانَ أَوْ لَا! انصر فـإِلَى أَعْمَالِكُمَا؛ فـإِمَّا أَنْ تَكُونَ سَاعَةً مُوْتِي قَدْ حَانَتْ أَوْ أَنَّهَا لَمْ تَحْنَ بَعْدَهُ. هـكذا كان إمامانا، حيث لم يسمح لولديه بمرافقتـه إـلـى المسـجـدـ، بل قال: لو أـنـّ أـوـانـ موتي قد حـانـ، فـلـوـ اجـتمـعـتـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ عـلـىـ منـعـهـ لـمـ استـطـاعـتـ ذـلـكـ، وـإـنـ لـمـ يـحـنـ، فـلـمـاـ تـرـافـقـانـيـ إـذـاـ؟ـ وـكـيـفـ كـانـ الإـمـامـ الحـسـيـنـ أـوـ الإـمـامـ السـجـاجـادـ أـوـ الإـمـامـ الـجـوـادـ يـتـصـرـفـ؟ـ وـكـيـفـ يـتـصـرـفـ الـآنـ الـأـوـلـيـاءـ الـإـلـهـيـينـ وـالـعـرـفـاءـ -ـ نـعـمـ، الـأـوـلـيـاءـ الـإـلـهـيـينـ وـالـعـرـفـاءـ لـاـ النـاسـ الـعـادـيـينـ مـنـ الـمـدـعـيـنـ مـاـ لـيـسـ فـيـهـمـ -ـ عـنـدـمـاـ كـانـ الـمـرـحـومـ الـعـالـمـ يـذـهـبـ إـلـىـ الـحـرـمـ، فـعـنـدـمـاـ كـانـ يـلـاحـظـ بـأـنـ أـحـدـهـمـ يـرـاقـقـهـ، كـانـ يـتـوـقـفـ وـيـقـوـلـ لـهـ: تـفـضـلـ، هـلـ تـرـيدـ شـيـئـاـ مـنــ؟ـ فـإـنـ كـانـ لـدـيـكـ شـيـءـ تـرـيدـ أـنـ تـقـولـهـ، فـقـلـهـ الـآنـ، فـأـنـاـ أـرـيدـ الـذـهـابـ إـلـىـ الـحـرـمـ بـمـفـرـدـيـ. فـتـرـىـ الرـجـلـ يـقـفـزـ مـتـرـينـ إـلـىـ

الوراء، لذا لا يلزم من يريد الذهاب إلى الحرم أن يحيط نفسه بخمسين رجلاً! فإن كان يريد زيارـة الإمام الرضا، فلـمـاذا يـقـوم باـصـطـحـابـ خـمـسـيـنـ رـجـلاـً مـعـهـ؟ فـمـاـ الـذـيـ يـرـيدـ؟ أـنـ يـقـولـهـ لـلـإـمـامـ الرـضـاـ بـعـمـلـهـ هـذـاـ؟ فـهـلـ يـرـيدـ أـنـ يـقـولـ لـهـ: هـاـ قـدـ جـئـتـكـ مـعـ خـمـسـيـنـ رـجـلاـً، فـتـفـرـجـ عـلـىـ موـكـبـيـ هـذـاـ؟ لـوـ قالـ ذـلـكـ، لـقـالـ لـهـ إـلـإـمـامـ الرـضـاـ: اـذـهـبـ إـلـىـ حـالـ سـبـيلـكـ ياـ هـذـاـ! فـلـدـيـ الـكـثـيرـ مـنـ الزـائـرـينـ هـنـاـ، دـعـنـيـ اـسـتـقـبـلـهـمـ، ثـمـ سـأـسـتـقـبـلـكـ بـعـدـ ذـلـكـ إـنـ سـنـحـ لـيـ الـوقـتـ. إـنـ إـلـإـمـامـ الرـضـاـ يـرـيدـ مـنـكـ عـنـدـمـاـ تـذـهـبـ لـزـيـارـتـهـ، أـنـ تـذـهـبـ بـمـفـرـدـكـ، وـأـنـ تـغـطـيـ رـأـسـكـ بـعـباءـتـكـ لـكـيـ لـاـ يـتـمـكـنـ أـحـدـهـمـ مـنـ التـعـرـفـ عـلـيـكـ؛ لـاـ أـنـ تـذـهـبـ لـلـزـيـارـةـ فـتـسـلـمـ عـلـىـ هـذـاـ وـذـاكـ، وـتـلـتـفـتـ يـمـنـةـ وـيـسـرـىـ لـتـسـلـمـ عـلـىـ النـاسـ، بـلـ انـظـرـ أـمـامـكـ حـتـىـ لـاـ يـضـرـبـ رـأـسـكـ بـالـجـدـارـ، فـهـاـ أـنـتـ وـمـنـدـ دـخـولـكـ الحـرمـ وـأـنـتـ تـسـلـمـ عـلـىـ هـذـاـ وـذـاكـ.

رأـيـتـ أـحـدـ عـبـادـ اللـهـ وـهـوـ يـنـظـرـ إـلـىـ كـلـ شـيـءـ - باـعـتـقـادـيـ - سـوـىـ إـلـإـمـامـ الرـضـاـ؛ وـكـانـ يـسـلـمـ عـلـىـ مـنـ يـقـابـلـهـ، حـتـىـ إـذـاـ أـصـبـحـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـيـ، اـسـتـمـرـتـ فـيـ طـرـيقـيـ غـيـرـ مـبـالـيـ بـهـ،

فلم يعجبه ذلك! يا عزيزي أنت تُسلّم على كُلّ من تمرّ به  
ما عدا الإمام الرضا، توقّف قليلاً، واقرأ إذن الدخول،  
فأنت داخل إلى الحرم! وهل الحرم مثل الأماكن  
الأخرى؟! فإنَّ كنت تتصرّف في كُلّ مكان بذلك النحو،  
فهل تتصرّف في الحرم كذلك؟! لماذا تفعل ذلك هنا  
أيضاً؟! فإنَّ هذا المكان هو حريم غيرة الله، وهنا يرقد  
وجيه العالم؛ فاستحِ يا هذا! فهل يمكن لأحد ورود حريم  
السلطان وهو لا يراعي الآداب الخاصة بذلك المكان؟!  
لو فعل ذلك، لضرب عنقه وذهب إلى قعر جهنّم؛ فهل  
يستطيع أحد أن يُقدم على شيء كهذا؟  
يُعلّمنا الإمام عليه السلام هنا كيف يجب أن تكون  
رؤيتنا للعالم، يقول: أيها الناس، إنَّ جميع الخلق ابتداءً مني  
أنا الإمام السجّاد وأجدادي، وجدي خاتم الأنبياء، وجميع  
أبنائي وإلى آخرهم ابني إمام الزمان – أرواحنا فداه  
والذي يدير جميع ما سوى الله من عوالم الملك  
والملائكة بإدارة واحدة كخاتم في اصبعه – فكُلُّ العالم  
يكون مقابل الله صفرًا، إذ كُلُّ ما في عالم الوجود عبارة عن

ظهور الله، لذا عليكم النظر إلى هذا الظهور لا إلى ذاك المظاهر الذي تجلّ في الظهور؛ فعندما تنظر إلى أنا الإمام، يجب أن يكون نظرك متوجّه إلى عَزَّه تعالى، وعندما تراني أقوم بعمل خارق للعادة، عليك أن تعرف بأنه هو الذي يقوم بهذا العمل الآن، وعندما تراني أنا صاحب الولاية أدير جميع هذه العوالم، فعليك أن تعرف بأنه هو الذي يُديرها الآن. من هنا نلاحظ بأنَّ الإمام يوجّهنا باتجاه تلك الحقيقة، لا باتجاه نفسه.

بينما ترى أهل الظاهر يدعون الناس إلى أنفسهم، فتراهم يقولون: انظر إلى الآثار التي تركتها خطبتي التي ألقيتها على الآخرين، أو كتابي الذي ألفته، فكم هو رائع ذلك الكتاب الذي ألفته، وتراهم يكتبون في المواقع الإلكترونية هذه الأيام عن كتاب فلان من الناس، فيقول: الحمد لله لقد شملني التوفيق الإلهي! يا عزيزي إن كنت تعلم بأنَّ ذلك كان بسبب التوفيق الإلهي، فلماذا أنت سعيد إلى هذا الحدّ، وإن كان ذلك بسبب التوفيق الإلهي، فعليك

ألا تحزن إن جرت الأمور على خلاف المرام في القضية  
التالية.

## رزانة شخصية أولياء الله في السراء والضراء ناشئ عن عبدتهم

لقد كان حال أمير المؤمنين بعد انتصاره في معركتي الجمل والنهر وان لا يختلف أبداً عنه بعد معركة صفين التي خسرها، فلم يتزعزع موقفه أبداً. بل كان هادئاً كهدوء الماء في الإناء الساكن، لكن كيف يمكن أن يحصل ذلك بعد حرب استمرت ثمانية عشر شهراً في ذلك الحرّ والبرد؟! لقد زرت تلك المنطقة الواقعة في محافظة الرقة – والتي تسيطر عليها الجماعات التكفيرية حالياً – صيفاً حيث كان صيفها شديد الحرارة، كما زرتها شتاءً وكان شتاوتها بارداً جداً ينزل فيه الثلج.. نعم لقد استمرّت تلك الحرب لمدة ثانية عشر شهراً جرى فيها قتال شديد، فلا يمكن أن يتوقع توزيع الحلوى في الحرب، بل هنالك ضرب السيوف والسهام والرماح ورمي الحجارة. ثم ذهبت جهود تلك الثمانية عشر شهراً من الحرب في مهب

الرياح بحيلة من الملعون عمرو بن العاص، وعاد أمير المؤمنين وبكل بساطة إلى مكانه السابق لإقامة الصلاة في مسجد الكوفة، فلم يحصل أي تفاوت في حال أمير المؤمنين نتيجة لذلك أبداً، لماذا؟ لأنَّه لا يرى نفسه سوى ذلك الظهور، فالوجود له وحده؛ أمّا ما يُشاهد في العالم من حركة وسكون فيراه منه، إِنَّه يرى ذلك عياناً ووجداناً وشهوداً ويلمسه بنفسه؛ لا أنه يتصرّف تصوّراً كما يحصل معنا؛ لذا تراه يمتلك شخصية رزينة ثابتة.

كذلك شخصيَّة أولياء الله شخصيَّة ثابتة، طبعاً هو في الظاهر يتحرَّك ويأمر وينهى ويقول: قاتلوا، اضرروا، قوموا، اجلسوا، افعلوا كذا وكذا، فهو لا يعتزل الناس في بيته ويقضي وقته بالنوم، بل تراه يتحدّث ويحيث الناس ويكتب وينخطب ويأمر وينهى، ويكون عنده مكتب ومجموعة وتشكيلات.. وهذا كله في محله، أمّا في الباطن فأمره ثابت وهادئ. أرأيتم كيف تظهر الإشارة على الشاشة حين تخطيط القلب، وعندما يتوقف القلب عن النبض؟ إِنَّها تظهر على شكل خطٍّ أُفقيٍّ مستقيم، فهذا يدلّ

على توقف القلب، وقبل التوقف كان هناك تذبذبات تظهر على الشاشة، أمّا عندما يتوقف القلب عن النبض، فيظهر على خطٍّ مستقيم؛ لا تستطيع أن ترسم خطًّا مثله وبتلك الدقة، ولو بمسطرة. إنَّ حال أولياء الله في تقلبات الحياة اليومية لديهم هي مثل ذلك الخط المستقيم الذي يظهر على الشاشة عندما يتوقف القلب عن العمل، فيكون حاله مستقرًا لا تذبذب فيه، أمّا من حيث الظهور الخارجي فالامر مختلف؛ وأما ما يجري في الباطن، فذلك أمر آخر.

كان في نיתי أن أتحدث الليلة عن ليلة القدر، غير أنَّ الحديث قد أخذ مجريًّا آخر، فقد نسيت ذلك حقاً واستمررت في حديثي في شرح دعاء أبي حمزة، إذ كان في نitti أن أتحدث حول ما سأله عنه الكثير من الإخوة حينما قالوا: ما دامت ليلة القدر هي ليلة الثالث والعشرين من الشهر، فلماذا نقوم بإحياء لياليتين آخريين؟ وما هو حكم الليالي الواقعية بين ليالي القدر، وما الذي ينبغي عمله فيها؟ فربما سأتحدث عن هذا الموضوع في الليلة القادمة إن شاء

الله؛ على أنَّ الإِخْرَوَةَ كَانُوا قَدْ تَحَدَّثُوا عَنْ خَصْوَصِيَّاتِ لِيَالِي  
التاسع عشر والحادي والعشرين والثالث والعشرين،  
وربما أكمل هذا الحديث في الليلة القادمة عن  
خَصْوَصِيَّاتِ لِيَالِي التاسع عشر والحادي والعشرين.

يبدو أنَّني تَحَدَّثَتْ عَنْ هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي الْعَامِ الْمَاضِي  
أَوَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَأَتَذَكَّرُ بِأَنَّنِي قَلَتْ بِأَنَّ لِيَلَةَ الْقَدْرِ هِيَ أَمْرٌ  
مُسْتَمِرٌ.. هَكَذَا كُنْتُ قَدْ شَرَحْتُ الْمَوْضُوعَ، وَسَأَقُولُ  
بِشَرْحِهِ بِشَكْلِ مُوجَزٍ مُجَدَّدًا فَأَقُولُ: إِنَّ أَمْرَ لِيَلَةَ الْقَدْرِ هُوَ  
أَمْرٌ مُسْتَمِرٌ يَبْدُأُ مِنْ لِيَلَةِ التاسعِ عَشَرَ وَمَا قَبْلَهَا وَيُسْتَمِرُ  
حَتَّىٰ يَكُونَ خَتَامَهُ فِي لِيَلَةِ الثَّالِثِ وَالْعَشَرِينَ. أَعْتَقُدُ بِأَنَّ  
الْإِخْرَوَةَ يَتَذَكَّرُونَ بِأَنَّنِي كُنْتُ قَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ هَذَا  
الْمَوْضُوعَ، وَعَلَىٰ أَيَّهُ حَالٍ، سَأَقُولُ بِالْحَدِيثِ عَنْ هَذَا  
الْمَوْضُوعِ فِي الْلَّيْلَةِ الْقَادِمَةِ بِشَكْلِ مُجَمَّلٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

نَسَأُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَنَا بِبَرَكَةِ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ الْمَبَارَكَةِ  
وَالْمُتَعَلِّقَةِ بِصَاحِبِ الْوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..  
وَإِنَّهُ لِأَمْرٍ عَجِيبٍ حَقًا! فَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ ضَرْبَةً أَمِيرِ  
الْمُؤْمِنِينَ فِي لِيَلَةِ التاسعِ عَشَرَ وَلَا يَكُونَ فِي لِيَلَةِ الثَّامِنِ عَشَرَ،

وَكِيفَ تَكُونُ رَحْلَتَهُ عَنِ الدُّنْيَا فِي لَيْلَةِ الْحَادِيِّ وَالْعَشْرِينَ  
وَالَّتِي هِيَ إِحْدَى لَيَالِي الْقَدْرِ، وَهِيَ مُقدَّمَةً لِلَّيْلَةِ الْثَالِثِ  
وَالْعَشْرِينَ؟! فَفِي ذَلِكَ الْكَثِيرُ حِيثُ كُنَّا نَسْمَعُ أَحْيَاً  
أَشْيَاءً عَنْهُ مِنَ الْعَظِيمَاءِ.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُزِيدَ مِنْ فَهْمِنَا وَإِدْرَاكِنَا لِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَنْ  
يَهْدِنَا بِبَرْكَةِ وَمَوَاهِبِ هَذِهِ الْلَّيَالِي الْمُبَارَكَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ  
بِالْوَلَايَةِ، وَأَنْ يَسْقِنَا مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ الْمَعِينِ الَّذِي خَصَّ بِهِ  
الْخَوَاصِّ مِنْ أَوْلَيَائِهِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ